النحت

وسيلة لتوسيع اللغة

« ردٌّ على ردّ الاستاذ سليم الجندي »

بقلم الخوراسقف مارون غصن

مدير الدروس العربية بمدرسة عينطورا

نشرت مجلة المجمع العلمي ، (في الجزء ١ من المجلد ١٣ ،) مقالاً لي ، بعنوان « النحت في اللغة العربية وسيله لتوسيع اللغة . »

لكن هذا المقال ـ على ما يظهر ـ لم يرق الاستاذ سليم الجندي احد اعضاء المجمع ، فنشر رداً عليه في المجلة نفسها ، (المجلد ١٣ ، الجزء ٧) . وقبل أن أبدأ بالردّ على ردّ الاستاذ الجندي ، أقول :

يفترض في من تشرف بعضوية احد المجامع العلمية أن يكون على شيء من رحابة الصدر والفكر . وقد اسعدنا الحظ بمعرفة كثيرين من أعضاء المجامع ، ومنهم الكاتب الشهير السيد « ليكنت » Le Conte ، فرأينا فيه من لطف الذوق والادب والتواضع ما يعادل ما في ذلك الدماغ المفكر من واسع العلوم والمعارف .

اما الاستاذ الجندي ، فلم نسعد بمعرفته ؛ بل عرفناه بردّه علينا — والانشاء مظهر الكاتب — فما كان أحراه بان يطالع المقال الذي يلي مقاله في الجزء نفسه من مجلة المجمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو للاستاذ عز الدين التنوخي، امين سر المجمع ، ولا سيما حيث يقول : وعجيب ان تنتقد هذه الاوضاع بقسوة ، وتعقّب بضيق صدر وفكر ، مع انها لم تنشر الا على سبيل الاقتراح لتعرض على انظار العلماء ويبدوا آراءهم فيها ، لعل أحدا يهتدي منهم الى لفظة ارشق منها وادق معنى . ولا ريب أن الاستاذ التنوخي يقصد بكلامه هنا بعض الاوضاع الجديدة التي وضعها مجمع اللغة العربية الملكي . ونحن نحيل هذه النصائح عينها الى الاستاذ الجندي .

ان المبدأ الذي يستند اليه الاستاذ الجندي في مقاله فاسد كل الفساد ، وهو « ان للعرب الاقدمين ، دون سواهم ، الحق في التصرف بلغتهم واغنائها بالاوضاع الجديدة . » فهو يقر بانهم استخدموا النحت (راجع مقالته ، الصفحة ٣٦٠ ، السطر ٩ وما يليه) . فلماذا لا يجيز لنا الاستاذ، في عصر تمدننا الراقي ما يجيزه لهم ، وأين المنطق مما قاله .

إن تاريخ اللغات حافل بتطورات جريئة ، لم تخطر لاستاذنا ببال . وحسبنا ، هنا ، أن نسرد شيئا منها على سبيل المثال ، وما ذاك سوى حفنة من كثيب :

١ ـ تغيير الابجدية

ليس من ينكر أن في تغيير الابجدية صعوبة وجرأة لا نجد ما يعادلهما في صوغ طائفة من الكلمات المنحوتة لسد حاجات علمية . والحال انا نرى لمثل ذلك التغيير أمثالاً عديدة . وها نحن نذكر الاستاذ ببعضها :

١ً الرومانية (لغة رومانية) كانت ، من نحو ستين سنة ، تكتب بالحروف الروسية ، ثم جزمت الحكومة أمر كتابتها بالحروف اللاتينية ، فزالت الكتابة القديمة .

٢ً كان الارمن القدماء يكتبون لغتهم بالحروف السريانية ، ثم اخترع العالم القديس « مسروب » الحروف الارمنية الحاضرة .

٣ً كان المالطيون القدماء يكتبون لغتهم بالحروف العربية ، ثم جعلوا يكتبونها بالحروف اللاتينية .

٤ً كان المصريون الاقدمون يكتبون لغتهم بالرموز الهيروغليفية الفكرية —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أعني التي لا تدل على الاصوات ، بل على المعاني رأساً — فعمدوا إلى اتخاذ الابجدية اليونانية بزيادة بعض الاحرف عليها لكتابة لغتهم .

٥ قد استبدل الاتراك ابجديتهم العربية القديمة بالابجدية اللاتينية ، كما يعلم القاصي والداني .

٦ قد تشبه الاكراد بالاتراك في كتابة لغتهم ، فعدلوا عن استعمال الابجدية العربية . وقد نشروا في دمشق مجلة تطبع كلها بالحروف اللاتينية .

٧ قد ادخلت الحكومة الصينية ، من نحو عشرين سنة على الاقل ، في جميع المدارس الابتدائية ، ابجدية جديدة ، اصطلاحية ، ابتدعها بعض الخبراء ؛ وذلك بدلا من الكتابة الرمزية — أي غير الصوتية — القديمة ، الدارجة في الادب والمدارس منذ أقدم الاجيال .

٨ قد جزمت الحكومة اليابانية — وهي أرقى الحكومات الشرقية — امر اتخاذ الابجدية اللاتينية عوضاً من الكتابة الرمزية المستعملة من اقدم العصور إلى الآن .

٩ وكذلك فعلت الحكومة الفارسية ، فأمرت باستخدام الحروف اللاتينية ، عوضاً عن العربية ، لكتابة لغة البلاد .

فما رأي الاستاذ الجندي في تلك التطورات التاريخية الثابتة في كثير من اللغات ؟ فهل يجرؤ وينكر انها تغيير للغة تغييراً جوهريا عظيما ، لا يعدُّ صوغ بضع مئات من الكلمات المنحوتة ، بالقياس اليه ، شيئاً ؟

٢ ادخال آلاف من الكلمات المنحوتة في لغات كانت ، في نشأتها ، خالية منها .

ذلك هو ايضاً من جملة التطورات التي طرأت على بعض اللغات ، بعد أن مر على نشأتها زمان طويل ، كما يتضح لك من الامثلة الآتي بيانها ؛ وذلك دليل واضح على إمكان حدوث هذا التطور نفسه في العربية ، لسد حاجات علمية ، لا ينكرها منكر .

١ اللاتينية القديمة ، لا نكاد نرى فيها شيئاً من الكلمات المنحوتة ، أي المركبة

هذية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من جذرين مأخوذين من الموصوفات أو الصفات أو الافعال : على انها اقتبست منها مئات من اليونانية الحافلة بها ، فصار الناطقون باللاتينية يقولون اقتداء باليونانيين: Philosophia الفلسفة (مركبة من Filos صديق ، و Sophia الحكمة) — Théologia اللاهوت (من Théos الله ، و Logos خطاب) — Idolatria الوثنية (من Idolon وثن ، و Lotria عبادة) — Polygamia مضارة أي تعدد الزوجات (مركبة من Poly كثير ، و Gamos زواج) الخ .

٢ الفرنسية القديمة ، المشتقة من اللاتينية ، كما هو معلوم ، كانت تندر فيها الكلمات المنحوتة ، ثم اقتبست من اللاتينية مئات منها ، واكثرها يوناني الاصل ، كما سبقت الاشارة اليه . وأخيراً صاغ العلماء الفرنسيون ، على توالي العصور ، آلافا من الكلمات المنحوتة لسد حاجاتهم العلمية في شتى العلوم ؛ واكثر هذه الكلمات مركبة من جذور يونانية . غير أن تلك الكلمات قد صاغها الفرنسيون ، لا اليونانيون القدماء ، وبعضها من جذور لاتينية ، والنزر اليسير خليط من جذرين ، يوناني ولاتيني ، أو يوناني وفرنسي ، وها كم بعض الامثلة :

ا من النوع الاول : الجذور يونانية فقط : Microbiologue عالم المكروبات (مركبة من ٣ جذور يونانية : micros صغير ، bios حياة ، logos خطاب) = Hagiographie كتابة سير القديسين (مركبة من جذرين يونانيين : hagios قديس ، و graphos كتب — Thermomètre (من جذرين يونانيين) Thermos حار ، و metron قياس) .

ب من النوع الثاني : الجذور لاتينية فقط ، والكلمة المنحوتة من صوغ الفرنسيين somnambule الذي يمشي وهو نائم (مركبة من somnus نوم ، و ambulos مشي) — Somnifère منوّم (من somnus نوم ، و fero جلب) — Febrifuge مزيل الحمى (من febris حمى ، و fugo هرّب) — dentifrice منظف الاسنان (من dens سنّ ، و frico حكّ) .

ت من النوع الثالث : الكلمات مركبة من جذرين : لاتيني ويوناني ، وهي من صوغ الفرنسيين : Bureaucratie سيادة موظفي الحكومة (مركبة من bureau

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مكتب ، والكلمة يونانية ، و kratos سلطة) — Radiodiffusion نشر الكلام أو الغناء بواسطة الراديو (مركبة من الكلمة اللاتينية radio شعاع ، والكلمة الفرنسية diffusion نشر .)

٣ التركية القديمة كانت لا تكاد تحوي شيئاً من الكلمات المنحوتة ؛ لكنها اغتنت للغاية باقتباس ما يزيد على الف منحوتة من اللغة الفارسية . اليكم بيان هذه الكلمات :

ا كلمات مركبة من اسم جنس واسم مفعول ، مثلاً : كار أزموده : خبير بالاشغال (مركبة من كار : شغل ، ازموده : مجرب) — رضا داده : راض (مركبة من رضا : رضى ، داده : معطى) — ضرر ديده : محتمل ضرر (مركبة من ضرر بمعناها العربي ، وديده : منظور) .

ب كلمات مركبة من اسم جنس واسم فاعل ، مثلا : اشك ريزان : ساكب الدموع (مركبة من اشك : دمع ، وريزان : ساكب) — جان سوزان : محرق النفس (مركبة من جان : نفس ، وسوزان : محرق) — مژده رسان : حامل بشاره (مركبة من مژده : بشارة ، ورسان : موصل) .

ت كلمات مركبة من اسم جنس وفعل بصيغة الامر ، مثلا : جهان آرا : زائن للعالم (مركبة من جهان: عالم ، وآرا : زن) — رقت آميز : مثير التحنن (مركبة من رقت : رقة ، تحنن ، وآميز : أخلط) — شرف افزا : مسبب للشرف (من شرف ، وأفزا : زِدْ)

ث كلمات مركبة من ضمير وفعل بصيغة الامر ، مثلاً : خود بين : محب لذاته (خود : ضمير للمتكلم والمخاطب والغائب ، يعود دائماً الى المبتدأ اوالفاعل ، وبين : أنظر)

ج كلمات مركبة من صفة وفعل أمر ، مثلا : كوتاه بين : قصير النظر (كوتاه قصير — بين أنظر) .

ح كلمات مركبة من حرف وفعل أمر ، مثلا : دور بين : مرقب اي تلسكوب télescope (مركبة من دور: حرف معناه بعيداً ، وبين : انظر) .

خ كلمات مركبة من اسم عدد واسم جنس ، مثلا : دورو : ذو وجهين (من دو :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اثنان ، و رو : وجه)— سه با : سيبه بالمعنى الدارج (من سه : ثلاثة ، وبا : رجل) الخ ، الخ .

٤ اللغة اليابانية ، لغة أرقى الامم الشرقية ، مع انها لاتشبه اليونانية ولا اللاتينية اصلا ، قد اقتبست آلافاً من الكلمات العلمية المنحوتة من جذور يونانية أو لاتينية ، والمستعملة في جميع لغات اوربة تقريباً ، وذلك بادخال تغيير يسير في لفظها كي يشبه ، ولو قليلا ، لفظ الكلمات اليابانية المحضة .

٣ تحويلات جوهرية ، فجائية في معجم بعض اللغات ، غير تغيير الابجدية واقتباس اوصوغ مئات من الكلمات المنحوتة

١ ان المجمع الملكي المصري للغة العربية (راجع العدد الأول من مجلته الصادر أخيراً) قد تجرأ كل التجرؤ لاغناء اللغة العربية ، ولا سيما أنه عمد الى عدة صيغ كانت سماعية من عهد العرب الاقدمين الى ايامنا ، فجعلها قياسية ، مثلا صيغة فِعالة للدلالة على الحِرَف ، حكم في صوغها صوغاً قياسياً من كل فعل ثلاثي — وصيغة فَعَلان ، للدلالة على التقلب والاضطراب ، حكم في صوغها من كل فعل لازم مفتوح العين ، يدل على تقلب او اضطراب ، الخ (راجع الجزء الاول من مجلة هذا المجمع ، الصفحة ٣٤ وما يليها)

فهل خشي المجمع غضب العرب الاقدمين ومن لفّ لفهم ، وابى اجتيازحدودهم ؟ ... أليس تحويل صيغة واحدة من السماع الى القياس أشبه بادخال مئات من الكلمات الجديدة ، التي لم ينطق بها العرب ، في المعجم العربي فجأة ؟

٢ دخل في اللغة العبرانية الحديثة نحو من ١٨ ألف كلمة جديدة ، أدخلتها فيها لجنة من علماء هذه اللغة ، مؤلفة من نحو مئتي شخص ، في فلسطين . وبين تلك الكلمات الجديدة نحو من ثلاثة آلاف من اللغات المعروفة باسم الهندية الاوربية (Indo-europé-ennes

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خلاصة هذه البراهين

إن في تاريخ تطورات اللغات أمثلة عديدة على تطورات جوهرية ، منها تدريجية ومنها فجائية، ومن جملتها :

١ـ تغيير الابجدية تغييراً كاملا .

٢ـ إدخال مئات أو آلاف من الكلمات المنحوتة المقتبسة من لغات ثبتي، في لغة لم تحو كلمات منحوتة في أوّل نشأتها ، بل في عصورها الاولى أيضاً .

٣ـ جعل كثير من الصيغ الساعية قياسية ، وبهذه الواسطة اغناء اللغة بغتة بآلاف من الكلمات الجديدة من جذور اللغة نفسها أو من لغات أجنبية ، وادخال هذه الكلمات فجأة في معجم اللغة المقصود اغناؤها .

بعد كل هذه المقدمات من يجرؤ وينكر إمكان اغناء اللغة العربية بمئات ، بل بآلاف من الكلمات المنحوتة من جذور عربية ، مثل أرْبَد وأرْبَرجل [1] بل من جذور أعجمية، مثل فسيولوجية وجيولوجية ، أو من جذرين عربي وأعجمي ، مثل نفسولوجية؟

ان اللغة كالأرض ، تبقى قاحلة بجمود اصحابها وخمود همتهم، وتغدو مخصبة بسعيهم . واذا طامتنا الكبرى في جمود السواد الاعظم من علماء لغتنا ، بازاء لغة العرب الاقدمين فانهم لا يعدونها جسما حياً ، قابلا للنمو المتواصل ، بل جثة ميتة محنطة، يصعدون اليها بخور الاجلال ، كأنهم يعفرون جباههم ساجدين لصنم مقدس ، من مسه اقترف اعظم الجرائم .

(١) وقع في مقالتي « النجعة » خطأ مطبعي فذكرت الكلمة « اربدرجل » بدلا من « اربرجل » وذلك خطأ ، ولم ينتبه الاستاذ لهذا الخطأ مع سعة علمه ، فنقل الكلمة المذكورة ، في مقاله ، على خطإها .

قلت ، وإن هذه الالفاظ ، من مثل ذوثد واربيد ، واربرجل ، اذا صقلها اللسان ، والفتها الآذان ، استعذبها الانسان ، وتعود لا تثقل حتى على آذان الاستاذ الجندي . (راجع مقالة الاستاذ التنوخي في المجلد ١٣ ، الجزء ١٧ السطر ١١ وما يليه) .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي الظمأ لانرى بُدّاً من تسكين غليان الاستاذ الجندي وتذكيره بأن ما دخل العربية ، حتى في ارقى عصورها — اي في عصر المأمون وعصر الامويين في الاندلس — من الالفاظ الداخلية الادارية والفنية والعلمية ، قد استساغته اللغة فامتزج بها امتزاج الماء بالراح . فليس لِلاستاذ أن يخاف عَلَى نصاعة العربية من إدخال بعض جذور اجنبية فيها : فان خضم العربية يهضم تلك الجذور هضم المعدة لانواع الاغذية إذ تحولها الى دم يتمثل بمختلف أجزاء البدن . وذلك على مثال ما دخل لغتنا من الالفاظ الغربية ، وما اقتبسته من التراكيب الاجنبية ، وا كثره ضاع فيها وتنوع شكله وعاد لا يتميز أصله .

وأما قول الاستاذ عن نفسه « اني من اولئك المتمنين المسكين بخناق اللغة الى أن تحيا حياة صحيحة أو تموت على هيئتها الحاضرة » فهذا ما لا يوافقه عليه كل من في صدره حب لهذه اللغة الكريمة . واننا مع كل عاقل نتمنى للاستاذ شيئاً من رحابة الصدر كي يجري على الناموس العام في تطور اللغات ، كما سبقنا فذكرنا .

ومما يدلنا على ضيق صدر الاستاذ ، قوله : « واقسم بالله ، لو اني قبل اليوم سمعت قائلاً يقول : اريد ، واربرجل ، وذوثد ، ما شككت في أنه ساخر يهزأ أو محموم يهذي » فنجيب عليه قائلين : هل للاستاذ الجندي أن يجهد ذهنه فيأتينا لهذه الكلمات: Mammifère — Quadrupède — Quadrumane بتعريب أخصر وادل وافصح من تعريبنا لها بطريقة النحت ؟ فان استطاع ، كنا له من الشاكرين ، وأسرعنا إلى الى الإقرار بمقدرته وذكائه .

الخوراسقف

مارون غصن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net